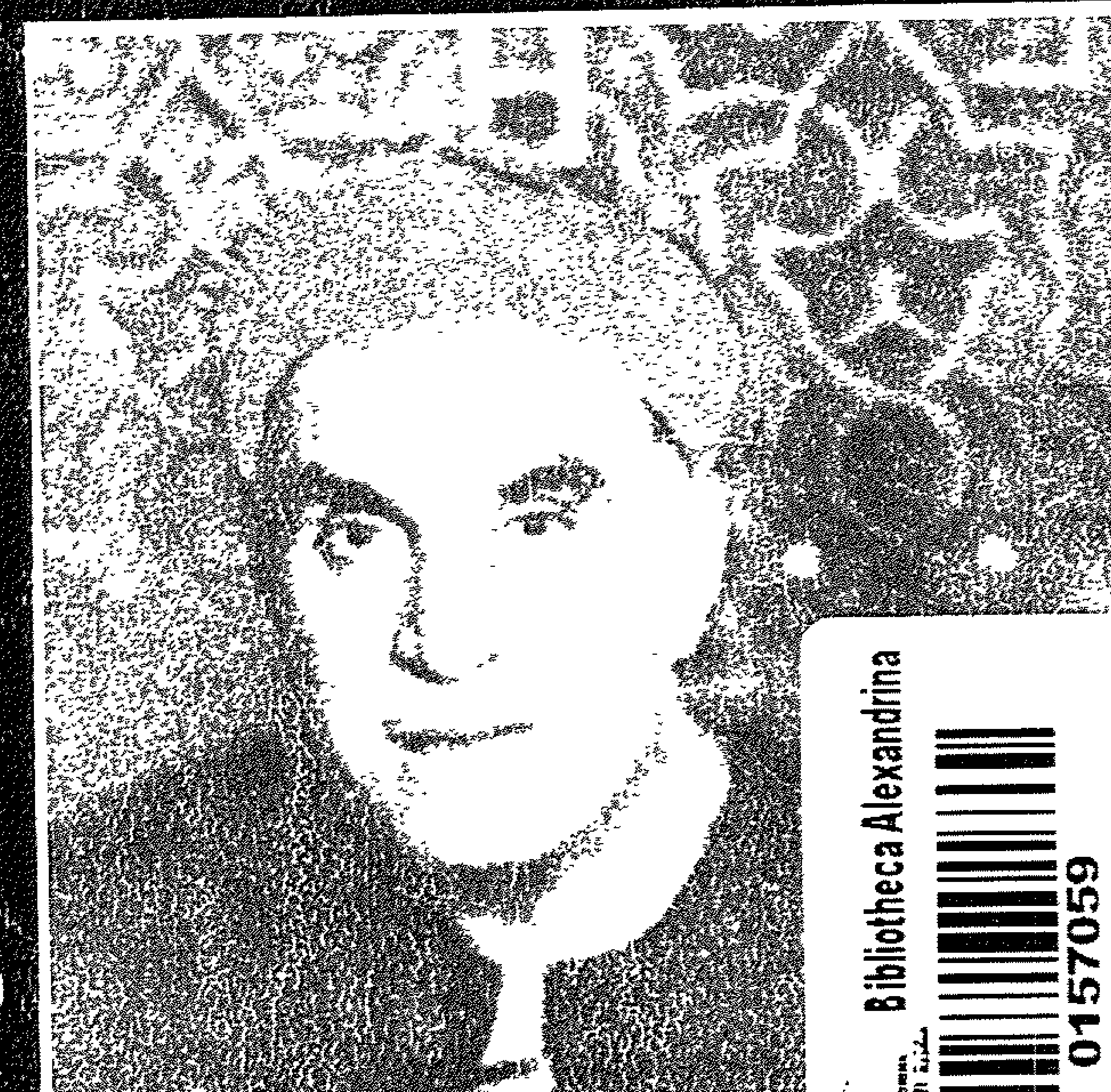
تراث الإنسانية

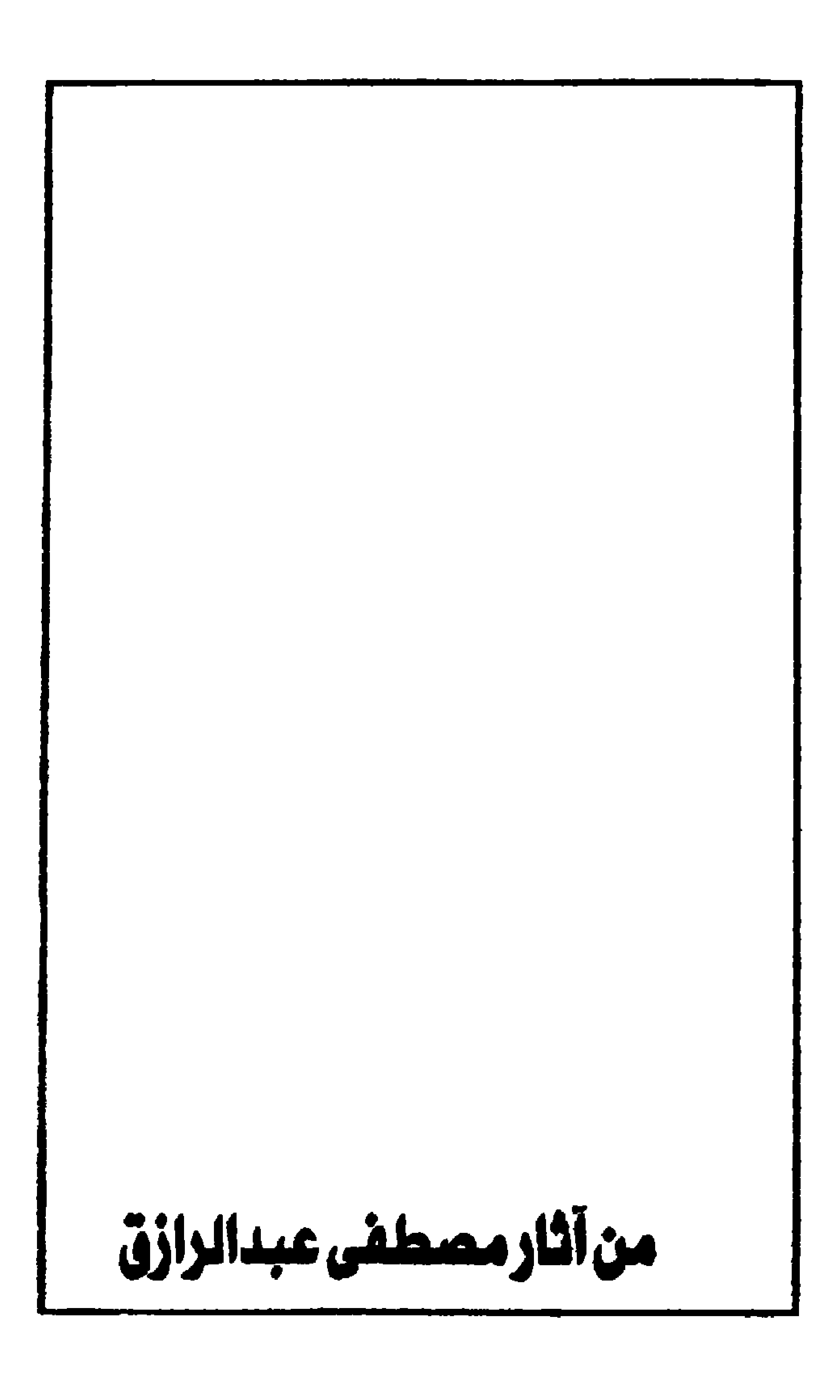
من آثار مصطفى عبد الرازق



الهيئة المصرية العامة للكتاب

د. عثمان أمين

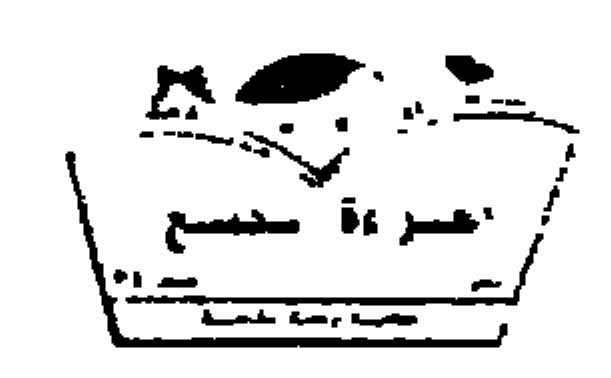
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤



من آثار مصطفى عبد الرازق

من آثار
مصطفى عبد الرازق

د. عثمان أمين



مهرجان القراءة للجميع ٩٤
مكتبة الأسرة
(تراث الإنسانية)

	الجهات المشتركة :
	جمعية الرعاية المتكاملة
	وزارة الثقافة (هيئة الكتاب)
الانجاز الطباعي والفني	وزارة الإعلام
محمود الهندي	وزارة التعليم
مراد نسيم	وزارة الحكم المحلي
احمد صليحة	المجلس الأعلى للشباب والرياضة

المشرف العام

د . سمير سرحان .

من آثار مصطفى عبد الرازق

د . عثمان امين

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة بجامعة القاهرة

---

١ ـ تقديم :

« من المشتغلين بتاريخ الثقافة الاسلامية من يريدون أن يخصوا بعنايتهم الجانب المصرى من هذه الثقافة ، فيدرسوا سير العلماء والأدباء من المصريين الذين ساهموا فى نشأة المعارف الاسلامية ، وساهموا فى السير بها الى الكمال · وهم بهذه الدراسة يمهدون لدرس خصائص الجانب المصرى من الثقافة الاسلامية · ويرى أهل هذا المذهب أن فى ذلك عونا على استيفاء البحث فى الآداب والمعارف الاسلامية : فان الثقافة الاسلامية ذات فروع وعناصر متفاوتة يجب أن تعرف ألوانها ومذاهبها للاحاطة

بكل ما لهذه الثقافة من خصائص ومميزات · وفي هذا الاتجاه نوع من توزيع العمل بين المشتغلين بخدمة غرض مشترك ، وهو تلك الثقافة الاسلامية التى هى تراث مجيد للشرق الاسلامى ، بل هى فى تاريخ الثقافات الانسانية تراث مجيد ·

ولمصر خاصة فائدة من هذا الاتجاه ، اذ هو سبيل الى توثيق الصلة بين الماضى والحاضر ، والى مراعاة الاتساق بين حلقات التاريخ · وحق على المصلحين والمجددين فى جماعة من الجماعات أن يتبينوا ما سجل التاريخ من منازع هذه الجماعة فى علومها وآدابها حتى يسيروا فى تجديدهم واصلاحهم على هدى ·

غير أن المصريين متهمون بأنهم يبخسون فضل أهل الفضل منهم ، على حين يمنحون الغرباء تقديرهم جزافا · فواجب علينا أن نبرىء من هذه التهمة قومنا ؛ ومن وسائل ذلك أن نحيى ذكرى العظماء من أسلافنا ، وأن ننصف اليوم من قد يكون التاريخ لم يعطهم كل ما يستحقون من انصاف » ·

بهذا التنبيه الى واجب المثقفين المصريين نحو العظماء من أسلافهم ، استهل أستاذنا مصطفى عبد الرازق بحثه الطريف عن « الليث بن سعد » المصرى · ومن حق الأستاذ علينا ، نحن تلاميذه المترسمين مثاله وآثاره ، أن

نؤدى بعض هذا الواجب نحوه ، لعلنا نحفظ اليوم بعض ما ضيعه قومنا ؛ ولعلنا ، اذ ندرس فى هذه الصفحات سيرة من أكرم السير فى تاريخنا المعاصر ، نهدى الى الناشئين من ابنائنا مثالا جميلا « لسيد من سادات أهل زمانه » علما وفضلا وسخاء ونبلا ، وطرازا فريدا من رواد الثقافة العربية فى مصر الى منتصف هذا القرن وحامل لواء المدرسة الفلسفية الاسلامية بعد الامام محمد عبده ·

وغنى عن البيان أن مصطفى عبد الرازق ، الذى اطلق تلاميذه عليه لقب « الفيلسوف الكامل » ، لم يدون مذهبا فلسفيا بالمعنى الضيق الذى يقصده الكتاب حين يتحدثون عن « مذاهب » الفلسفة أو « انساقهم » ، ولكننا مع ذلك نستشف من خلال مؤلفاته واحاديثه ، بل من خلال حياته كلها ، فلسفة اخلاقية انسانية ، زاخرة بالمثل العالية الباقية ، مثل الحق والخير والجمال ، تلك التى تهدى الناس فى كل زمان ومكان الى اصلاح النفوس وارتقاء المجتمعات · وقد عاش مصطفى عبد الرازق هذه الحياة الفلسفية « الجوانية » بأجمل معانيها وأكمل صورها ، نازعا منازع الأستاذ الامام ناهضا برسالته الاصلاحية ، فكانت فلسفته امتدادا لفلسفة أستاذه وتاكيدا لاهتمامه بالتربية الخلقية من حيث هى الدعامة القوية لنهضة الأمة العربية ·

٢ ـ سيرته وآثاره وفلسفته

١ ـ السيرة : ينتسب مصطفى عبد الرازق الى أسرة مصرية عريقة ، اشتهر كثير من أبنائها بنبوغهم وسعة علمهم وسمو أخلاقهم ؛ ومشاركتهم مشاركة فعلية في خدمة القضية الوطنية ٠

ولد سنة ١٨٨٥ فى « أبو جرج » احدى قرى منيرية المنيا ٠ وكان أبوه الشيخ حسن عبد الرازق باشا رجلا واسع المعرفة ، وفى الوقت نفسه من أكثر الشخصيات تأثيرا فى الحياة السياسية المصرية ٠ بدأ مصطفى عبد الرازق دراسته فى « أبو جرج » ، ثم واصل هذه الدراسة ـ كما كان مألوفا حينئذ ـ فى الجامع الأزهر ٠

وفى بداية سنة ١٩٠٣ بدأ الشيخ مصطفى يتابع دروس الامام محمد عبده بالرواق العباسى فى شرح « دلائل الاعجاز » للجرجانى ، وفى تفسير القرآن ٠ وأعجب مصطفى بالأستاذ الإمام اعجابا لا متناهيا ، وعبر عن هذا الاعجاب شعرا ونثرا ٠ فلما مات الامام سنة ١٩٠٥ حزن عليه حزنا شديدا فاضت به رسائله ومراثيه ، وكان مما قال :

كان فى هذه الحياة رجاء
قد دفناه يوم مات الامام

وأراد أن يسبر غور ثقافته الاسلامية ، لتواجه

الثقافة الغربية محتذيا فى ذلك حذو أستاذه الإمام محمد عبده : فدرس اللغة الفرنسية ، وسافر الى فرنسا ، في صيف سنة ١٩٠٩ والتحق فى بادى الأمر بالسربون ، حيث تابع الاستماع الى المحاضرات المشهورة التى كان يلقيها حينذاك عالم الاجتماع الفرنسى « اميل دوركايم » فى علم الاجتماع . ثم عين محاضرا للشريعة الاسلامية فى كلية الحقوق بجامعة ليون ، تلبية لدعوة الأستاذ « لامبير » أستاذ القانون بتلك الجامعة ؛ وحضر فى جامعة ليون دروس الأستاذ « جوبلو » فى تاريخ الفلسفة ؛ ودروسا فى تاريخ الأدب الفرنسى . وتولى تدريس اللغة العربية والمحاضرة فى الأدب العربى بكلية الآداب بجامعة ليون خلفا للأستاذ « جاستون فييت » الذى ندب للتدريس فى الجامعة المصرية . واستطاع مصطفى عبد الرازق ، الى جانب عمله بهاتين الكليتين بجامعة ليون ، أن يعد رسالة للدكتوراه فى الاداب عن « الامام الشافعى أكبر مشرعى الاسلام » .

ويحدثنا الأستاذ على عبد الرازق ــ حفظه الله ــ عن رأيه فى أثر اقامة أخيه مصطفى عبد الرازق فى فرنسا ، فيقول : « أعرف أن أثر هذه المرحلة فى حياته كان كبيرا جدا ، أكبر مما كنت أتوقع ، وأكبر من أن تطيب به نفسى يومذاك ، وأكبر من أن يستسيغه عقلى ؛ وأذكر أننى نازعته غير قليل فى بعض ما حسبته يومئذ تغيرا

غير جميل ، وأخالنى قسوت أحيانا فى مجادلته . وكان هو فى أكثر أحواله يحسم الجدل بيننا بابتسامة هادئة ونظرة حانية وكأنه يقول : « رويدك حتى ترى وتعرف ، كما رأيت وعرفت » . وكان فى ذلك ـ عليه رحمة الله ـ صادقا وحكيما » .

ومن باريس كان الشيخ يرسل مقالاته الى « الجريدة بعنوان « صفحات من سفر الحياة » ، ظهرت كلها من مايو الى أغسطس سنة ١٩١٤ باسم « مذكرات الشيخ الفزارى » .

وعاد مصطفى عبد الرازق الى مصر سنة ١٩١٥ ، بعد أن نال حظا موفورا من الثقافة الغربية ، فاختير سكرتيرا عاما للأزهر ، ثم مفتشا للمحاكم الشرعية ، وكان يعمل فى الوقت نفسه بمعاونة عدد من المصريين والأجانب ، على انشاء جامعة الشعب التى كانت تلقى فيها ـ ابان الحرب العالمية الأولى ـ محاضرات عامة فى الآداب والعلوم والفنون . وفى تلك الجامعة ألقى مصطفى عبد الرزاق سلسلة محاضرات عن محمد عبده ، نشرت فى كتاب سنة ١٩٤٥ .

وحينما أنشئت « الجامعة المصرية » رسميا سنة ١٩٢٥ دعته كلية الآداب بها لالقاء محاضرات فى الفلسفة الإسلامية . وكان من حسن حظنا أن استمعنا الى هذه المحاضرات القيمة ، وأن نتتلمذ على ذلك الأستاذ الملهم ،

وأن نقدر عمق تعاليمه تقديرنا لنبل أخلاقه · واستطاع الشيخ مصطفى أن يلفت أنظار الطلاب فى تلك الكلية لدراسة الفلسفة الاسلامية التى كانت قد اهملت زمنا طويلا · وكان اخص ما يميز محاضراته فى كلية الآداب تلك الروح العالية التى ألهمتها : روح الروية والتحرر والنزاهة العقلية ، وهى صفات قد اقترنت بالسمات البارزة التى امتازت بها شخصية أستاذنا الأخلاقية ·

كان مصطفى عبد الرزاق اول أستاذ مصرى للفلسفة الاسلامية فى كلية الآداب ، ففى محاضراته بها ، تلك المحاضرات التى نشرت بعنوان « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية « رسم الخطوط الأساسية للفلسفة الاسلامية ؛ وكان وهو يلقى الضوء على جوانب المشكلات الكبرى ، يرد ــ بهدوئه المألوف ــ على الذين أنكروا على الفكر الاسلامى أصالته · ولقد أدرك الأستاذ ببصيرته النافذة أنه وان يكن المسلمون قد تقبلوا فى قصورهم للعالم عناصر مستمدة من الفكر اليونانى ، الا أنهم مع ذلك كان لهم منهج خاص وثقافة مميزة ذات أصالة ، وأن الفكر الاسلامى الحقيقى لا يلتمس فى فلسفة الفارابى وابن سينا بقدر ما يلتمس فى أصول الفقه الاسلامى وعلم الكلام · والى جانب تقلده لكرسى الفلسفة الاسلامية بجامعة القاهرة كان أستاذنا عضوا فرئيسا للجمعية الخيرية الاسلامية ، وعضوا فى المجمع العلمى المصرى ،

وعضوا فى مجمع اللغة العربية ، ورئيسا للجنة الأوقاف والمعاهد الدينية بمجلس النواب ٠

وفى سنة ١٩٣٨ أختير الشيخ وزيرا للأوقاف فى وزارة محمد محمود باشا ، وتجدد شغله لهذا المنصب ست مرات آخرها فى أكتوبر سنة ١٩٤٤ ٠ ولا جرم كان دخوله الوزارة حدثا تاريخيا ، لأن أحدا من الأزهريين قبله لم يشغل هذا المنصب ٠ ولكنه الشيخ ظل حريصا على طابعه الأزهرى ، ولم يشأ أن يتخلى عن الجبة والقفطان ، ولم يكن يخلو من تأنق فى ولائه لزيه التقليدى ، ويتضح ذلك من مقال طريف مملوء بالدعاية كتبه يناجى فيه العمامة ٠ وفى سنة ١٩٤٥ انتخبته الجمعية الفلسفية المصرية رئيسا فخريا لها ٠

وكان تعيينه شيخا للأزهر ، خلفا للشيخ المراغى ، تتويجا لحياته العلمية الحافلة ٠ وفى هذا المنصب الدينى الرفيع ، وهو منصب شيخ الاسلام ، كان مصطفى عبد الرزاق مجددا واسع أفق النظر ؛ عمل بجد وحصافة ، طوال الفترة التى تقلد فيها هذا المنصب رغم قصرها ٠ فبدأ بادخال اللغات الأجنبية فى الأزهر وشجع البعثات العلمية الى الخارج ، فأرسل بعثات من الأزهريين الى انجلترا وفرنسا لدراسة اللغتين الانجليزية والفرنسية ؛ بقصد تدريس هاتين اللغتين فى الجامعة الأزهرية ٠ وأرسل مبشرين مسلمين الى أوغندا كما أرسل بعثة من

المدرسين الى الأقطار الحجازية لدراسة العقيدة الاسلامية هناك ·

وهكذا نهج مصطفى عبد الرزاق نهج أستاذه الشيخ محمد عبده فى التوفيق بين الاسلام والحضارة الغربية . وكافح كفاحا موصولا لتجديد الجامعة الاسلامية العتيدة التى كانت تضم أكثر من ثلاثين ألف طالب وفدوا اليها من مختلف أقطار الأرض · ولكن تقلد مصطفى عبد الرازق لمشيخة الأزهر لم يخل من عسر وارهاق وصعاب · وليس من شك فى أن أستاذنا ، وهو على ما نعلم من رقة ووداعة ونبل ، قد احتمل الكثير من مكاره الاضطرار الى أن يحيا بين قوم هو بطبعه وجوانبه أبعد الناس عن دسائسهم وأهوائهم · ولعل وفاته حسرة وأسى فى الخامس عشر من فبراير جاءت مثلا صارخا على طغيان البرانية فى البيئة الأزهرية ·

(ب) آثاره : كان مصطفى عبد الرزاق من خاصة تلاميذ الامام محمد عبده وأقربهم اليه بروحه وعقليته : فقد جمع بين القديم والحديث ، والاسلامى وغير الاسلامى ، والشرقى والغربى ، ثم تمثل كل أولئك فى قلبه الكبير وعقله الراجح وخرج به الى الناس فى صورة لا عهد لهم بها من قبل : صورة هى من صنع مصطفى عبد الرزاق نفسه · وظل الرجل وفيا لروح أستاذه حريصا على تطبيق مبادئه وتعاليمه : فلم تفته فرصه الا انتهزها

للكتابة فى الصحف عن سيرة الامام وآرائه ووجهته فى الاصلاح ، بل ذهب الى أبعد من ذلك فالقى عنه كما قلنا سبع محاضرات فى جامعة الشعب ، كما ترجم الى الفرنسية « رسالة التوحيد » (١) ، بالاشتراك مع صديقه الفرنسى برنار ميشيل ، ونشرت الرسالة فى باريس سنة ١٩٢٥، مصدرة بمقدمة مستفيضة عن حياة أستاذه ومذهبه ومؤلفاته · وعنى فيها خاصة بدراسة آرائه الدينية ، وتصوره للدين ، وتسامحه ، ورأيه فى الصلة بين الدين والعقل ، وبين الدين والأخلاق ، والدين والمجتمع · وبسط القول فى الدين الاسلامى فى نظر محمد عبده ، وفى الخصائص العامة للاصلاح الذى نهض به · وفوق هذا كله جاهد مصطفى عبد الرزاق بقلمه ولسانه وحياته العملية لخدمة الدعوة الاصلاحية ، ونشر الحرية الفكرية التى دعا اليها محمد عبده والأفغانى ·

أما كتابه « تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية » فهى عبارة عن محاضرات القاها على طلاب الفلسفة فى الجامعة المصرية ، ابتداء من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٩ وقد نشرها سنة ١٩٤٤ بصورتها كما كتبت وقت القائها ، من غير تنقيح ولا تعديل ، وفى صياغتها التعليمية · والكتاب كما جاء فى تقديمه « يشتمل على بيان لمنازع

---

(١) انظر تحليلنا لهذه الرسالة فى « تراث الانسانية » اكتوبر عام ١٩٦٤ ·

الغربيين والاسلاميين ومناهجهم فى دراسة الفلسفة الاسلامية وتاريخها · والباحثون من الغربيين كانما يقصدون الى استخلاص عناصر اجنبية فى هذه الفلسفة ليردوها الى مصدر غير عربى ولا اسلامى ، وليكشفوا عن أثرها فى توجيه الفكر الاسلامى · أما الباحثون الاسلاميون فكأنما يزنون الفلسفة بميزان الدين · ويتلو هذا البيان شرح لمنهج فى درس تاريخ الفلسفة الاسلامية مغاير لهذه المناهج : فهو يتوخى الرجوع الى النظر العقلى الاسلامى فى سذاجته الأولى وتتبع مدارجه فى ثنايا العصور وأسرار تطوره · ويلى بيان هذا المنهج تطبيق له وتوضيح بما هو أشبه بالنموذج والمثال · ثم لهذا التمهيد ضميمة فى علم الكلام وتاريخه ، ليست مقطوعة الصلة به ، اذ هى لا تعدو أن تكون نموذجا أيضا من نماذج المنهج الجديد » ·

وبعد أن عرض الكتاب لمقالات الغربيين فى الفلسفة الاسلامية ، وبحث آراء « تنمان » و « رنان » و « جوتييه » وغيرهم ، قال : « أما بعد فان الناظر فيما بذل الغربيون من جهود فى دراسة الفلسفة الاسلامية وتاريخها لا يسعه الا الاعجاب بصبرهم ونشاطهم وسعة اطلاعهم وحسن طريقتهم · واذا كنا ألمحنا الى نزوات من الضعف الانسانى تشوب أحيانا جهودهم فى خدمة العلم ، فانا نرجو أن يكون فى تيقظ عواطف الخير فى البشر وانسياقها الى دعوة

السليم العلم والنزاهة الخالصة والانصاف والتسامح ..، مدعاة للتعاون بين الناس جميعا على خدمة العلم باعتباره نورا لا ينبغى أن نخالط صفاءه كدر . وليس يؤنسنا من أن تهب في بعض البلاد نزعات كانت ركدت ريحها ، وليس من شأنها أن تخلص نفوس الناس من عوامل العصبية والهوى ، مثل نظرية تفوق السلالة النوردية الشاملة لشعوب أوربا الشمالية التى تحيا فى ألمانيا لهذا العهد ؛ ومثل فكرة تفوق البيض على السود المنتشرة فى أمريكا الشمالية ، وفكرة تفوق الجنس الأبيض على الجنس الهندى التى دعت الى تسمية المتولدين بين انجليز وهنديين تسمية خاصة فى بلاد الهند وفى بلاد أفريقيا الجنوبية ، بل نحن نرجو أن يغلب العلم والحق هذه النزوات التى لا يسندها علم ولا حق . ويقوى رجاؤنا أن نجد فى أمريكا نفسها أصواتا تقرر باسم العلم أحيانا ما نقرره نحن الآن» .

هذه الكلمة الهادئة البناءة فى تقدير جهود الغربيين برغم ما يشوبها أحيانا من نزولت العصبية تمثل خير تمثيل روح أستاذنا مصطفى عبد الرازق فى كل ما يعرض له من مثارات الأهواء . وكلمة أخرى تتسم بالانصاف والنزاهة في الحكم على آراء المخالفين ، قال فى صلة الفلسفة الاسلامية بالفلسفة اليونانية : « وليس بين العلماء نزاع فى أن الفلسفة الاسلامية متأثرة بالفلسفة اليونانية ومذاهب الهند وآراء الفرس . ولعل هذا هو الذي يجعل

الباحثين فى تاريخ التفكير الاسلامى والفلسفة الاسلامية من الغربيين يقصدون فى دراستهم الى استخلاص العناصر الأجنبية التى قامت الفلسفة الاسلامية على أساسها ، أو تأثرت بها فى أدوارها المختلفة ، يجعلون ذلك همهم ويتحرون على الخصوص اظهار أثر الفكرة اليونانية فى التفكير الاسلامى واضحا قويا • وليس من العدل انكار ما لهذه الأبحاث من نفع علمى ، برغم ما قد يلابسها من التسرع فى الحكم على القيمة الذاتية لأصل التفكير الاسلامى وعلى مبلغ انفعال هذا التفكير بالعوامل الخارجية من غير اعتبار لما يمكن أن يكون له من عمل فيها • والعوامل الأجنبية المؤثرة فى الفكر الاسلامى وتطوره ، مهما يكن من شأنها ، فهى أحداث طارئة عليه ، صادفته شيئا قائما بنفسه ، فاتصلت به لم تخلقه من عدم ، وكان بينهما تمازج أو تدافع ، لكنها على كل حال لم تمح جوهره محوا » •

وفى كتابه عن « الامام الشافعى »(٢) تحقيق علمى دقيق ، لا يخلو من روح نقد لطيفة ومن دعابة رقيقة • بحث سيرة الشافعى وبعد أن ذكر اختلاف الروايات عن أمه قال : « ولو أن أم الشافعى كانت بهذه المثابة من دقة التفريع وقوة الاستنباط لعرف التاريخ على الأقل اسمها ،

(٢) سلسلة « اعلام الاسلام » • القاهرة ١٩٤٥ •

وعرف أين وافاها حمامها ، وفى أى زمن ؟ ! ويتحدث عن مذهب الشافعى فى الفقه واتجاه المذاهب الفقهية قبله ، وجهده فى جمع أصول الاستنباط الفقهى وقواعدها علما ممتازا ، وجعل الفقه تطبيقا لقواعد هذا العلم ، وبهذا يمتاز مذهب الشافعى عن مذهب أهل العراق وأهل الحجاز ، وأهل الرأى وأهل الحديث • ويقول : قبل الشافعى كان الناس يتكلمون فى مسائل « أصول الفقه ، ويستدلون ويعترضون ، ولكن ما كان لهم قانون كلى مرجوع اليه فى معرفة دلائل الشريعة ، وفى كيفية معارضتها وترجيحاتها ، فاستنبط الشافعى علم « أصول الفقه ووضع للخلق قانونا كليا يرجع اليه فى معرفة مراتب أدلة الشرع • « اذا كان الشافعى هو أول من وجه الدراسات الفقهية الى ناحية علمية ، فهو أيضا أول من وضع مصنفا فى العلوم الدينية الاسلامية على منهج علمى ، بتصنيفه فى أصول الفقه : وهو الذى رتب أبوابه وميز بعض أقسامه من بعض ، وشرح مراتبها فى القوة والضعف » •

و « فيلسوف العرب والمعلم الثانى » كتيب يشتمل على أربعة بحوث عن الكندى ، والفارابى ، والمتنبى ، وابن الهيثم ، وابن تيمية • وفيه يجرى على طريقته المشهورة فى تحقيق الأخبار عن كل واحد ، وعن نشأته وبيئته

وثقافته ، وأسلوبه ٠ نراه يبسط القول فى نسب الكندى وقبيلته ويتحدث عن شخصيته فيقول :

« ويظهر أن نوع الحياة التى كان يحياها الكندى الفيلسوف بحكم ما فيها من عزلة وانقطاع عن مجامع الأدباء والعلماء ، واتصال بالمترجمين والفلاسفة ، وهم غير مسلمين ولا عرب ، لم يكن من شأن ذلك أن يجعل الكندى خفيفا على أرواح من يرون فى الحياة غير ما يرى » ٠ ويقول فى آثاره وآرائه ومنزلته العلمية : « فيما أسلفنا دليل على احاطة الكندى بكل أنواع المعارف التى كانت لعهده على اختلافها احاطة تدل على سعة مداركه وقوة عقله وعظم جهوده ٠٠٠ أما شأنه فى الفلسفة فهو أهم شؤونه ومظهر عبقريته ومناط الخلود لاسمه فى ثنايا التاريخ » ، وقد كان منحاه « فى فهم معنى الفلسفة وتقسيمها باعتبار الموضوع توجيها للفلسفة الاسلامية منذ نشأتها ٠ والكندى هو الذى وجه الفلسفة الاسلامية وجهة الجمع بين أفلاطون وأرسطو ، وهو الذى وجهها فى سبيل التوفيق بين الفلسفة والدين ٠ وليس فيما بين أيدينا من آثار الكندى ما يمكننا من استخلاص مذهبه نسقا كاملا » ٠

أما الفارابى فقد حقق الأستاذ نسبه وموطنه ومولده ونشأته ونمط حياته وقصص نبوغه ومواهبه ومكانته

الفلسفية ، ثم قال : « والفارابي من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصا في المنطق · وأثره في هذا الباب هو الذي جعله يستحق التلقيب بالمعلم الثاني ، اذ كان أرسطو هو المعلم الأول » وقال : « ولا ينتهي فضل الفارابي عند تفسير كتب أرسطو وتصحيح تراجمها ، والتمهيد بذلك للنهضة الفلسفية في الاسلام التي تكاملت من بعده ، بل له أيضا أنظار مبتدعة ، وأبحاث في الحكمة العلمية والعملية عميقة سامية ، لم تتهيأ بعد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلا وافيا » ثم عرض لنظرية الفارابي في ترتيب العلوم وتقسيمها ، وقال : « ولعل ما نسميه اليوم : الموسوعة ، أو دائرة المعارف ، أو : المعلمة ، لا يخرج في الجملة عن أن يكون من هذا الباب ، فليس مجانبا للحق قول من يرى أن الفارابي هو أول من وضع دائرة معارف · ولسنا نعرف من قبل الفارابي من قصد الى تدوين جملة المعارف الانسانية في زمنه موطأة مجملة يسهل تناولها على المتأدبين » ·

وفي كتاب « الدين والوحي والاسلام » ثلاث دراسات بسط فيها مختلف الآراء عن هذه الموضوعات الثلاثة : فعرض للعلاقة بين الدين والعلم ، وشرح مفهوم الدين عند الفرنجة وعند الاسلاميين ، وحدد معاني كلمة « الوحي » في اللغة وفي القرآن وفي السنة ، وذكر أهم النظريات في تفسير الوحي عند المتكلمين والفلاسفة والصوفية

المسلمين وعند الاسلاميين فى العصور الحديثة · وختم هذه الدراسات ببحث عن الاسلام ، والنظريات المختلفة فى العلاقة بين المعنى اللغوى والمعنى الشرعى لكلمة « اسلام » ووقف عند الرأى الراجح فى هذا الموضوع ·

ولكن الذى يستحق التنويه به فى هذا الكتيب أن نظرته فيه هى نظرة الفيلسوف « الجوانى » الذى يفرق بين روح الدين وبين شعائره الخارجية ، والذى يجعل الاعتبـــار الأول للنيـات والمقاصـد من وراء الأعراض والمظاهر ، وهو يقول : « هذا والأعمال البدنية نفسها لا يكون لها اعتبار فى دين المسلمين بحسـب صـورها الظاهرة ، وانما هو معتبرة بالنيات والهيئات النفسانية التى هى مصدرها » ·

(ج) فلسفته : كان أستاذنا ــ رحمه الله ــ يعتقد أن هنالك شيئا هو فوق العلم وفوق الفن ؛ وهذا الشىء هو ما يطلق عليـه اسـم الأخـلاق · وقـد كان الفلاسـفة الرواقيون يسمونه « فن الحياة » ، وهو أعلى الفنون : لأن موضوعه هو الجمال بمعناه الصحيح ، أى جمال الروح · وكان الأستاذ يرى أن الأخلاق ينبغى أن تكون فنا للحياة ، أى أن ترسم قاعدة ثابتة لسلوك الشخص مع نفسه وبازاء الله والناس ، وبمعنى أن يكون للانسان فى حياته موقف مقرر وخطة مرسـومة ، حتى لا تتجـاذبه

الأهواء والانفعالات · فاذا بلغ الانسان هذه المرتبة كان حكيما · وآية الحكمة هى ما يلازم سلوك الانسان من ثبات واستقرار · ولكن هذا الثبات ــ فيما يرى الأستاذ ــ يجب أن يكون فى فعـل الخير ، وليس الخير هو ما يطلبـه الجمهور عادة من اللذات أو المال أو الصـيت ، وانمـا الخير ، الذى هو عنده جمال الروح ، هو الحب والسماحة والجود ·

وكثيرا ما كان الأستاذ يحدثنا فيقول : اذ هنالك فلسفة جميلة بزغت منذ فجر الفكر الانسانى ، وثبتت على أحداث التاريخ ، وهى فلسفة كرام النفوس ، أولئك الذين عاشوا للعالم كله لأنفسهم ، وظلوا على وفاق مع قانون المحبة والسخاء · وكان أول من مارسها أنبياء الشرق ، ثم اذاع تعاليمها كبار المفكرين والحكماء ، من سقراط الى أفـلاطون وأرسـطو ، ومن أرسـطو الى الرواقيين وأفلوطين ومن أفلوطين الى الفارابى وديكارت ، ومن ديكارت الى كانط وغاندى · وكان أولئك جميعا سلالة عظيمة واحدة أنجبت أقطاب الفلسفة الروحية على مـدى العصـور ، وجميعهم قد استطاعوا أن يستشفوا جوهر الدين ، وأوغل بعضهم فيه ، فأداهم نظرهم الى فلسفة عاشوا عليها · وهذه الفلسفة تتلخص كلها فى حالة نفسية يصح أن نطلق عليهـا الاسـم الجميـل الذى اختـاره ديكارت ، اسـم

« الأريحية » : وتلك حال النفوس التى تعطى ولا تأخذ وتسعى الى اسعاد الغير مهما كابدت من عناء ٠

لقد علمنا ديكارت أن النفوس لا تكون كبارا بغير العواطف الكبار ، وجعل الفيلسوف لعاطفة الصداقة فى المجتمع الانسانى أسمى مكان ؛ وأوصت الأديان من قبل بأن يحب الانسان لأخيه الانسان ما يحب لنفسه ٠ ولكن مصطفى عبد الرازق يذهب الى أبعد من ذلك ، فيطالب الانسان بأن يحب لغيره أكثر مما يحب لنفسه ٠ والواقع أن هذا طابع الحب الحقيقى ؛ فليس الحب هوى جامحا يريد التغلب والامتلاك ، ولكنه فضيلة تبتغى أن تعطى دائما ، وأن تعطى من غير حساب ٠

والحب اذا فهمناه على هذا الوجه وجدناه أمرا فى مقدورنا ، لأنه مفطور فينا ، مغروس فى جبلتنا ، فلا نحتاج الى ايجاده انما نحتاج الى ازالة العوائق التى تقام فى سبيله ، ومصدرها الأنانية وغلبة الأهواء ٠ واذن فالحب هو أصل كياننا ، وصميم وجودنا ولا حياة لنا بدونه ٠

وكان أستاذنا يقول أيضا اننا جزء من كل ، وأن واجب الجزء أن يعمل من أجل الكل ؛ والكل الذى ننتمى اليه هو الانسانية ؛ فكان الأستاذ يود أن يتجه نظام التربية الى تقوية هذا الشعور ، شعور المحبة والتعاطف

والتعاون بين أفراد الانسانية • وكان يرى أن علاج أمراضنا الاجتماعية يقوم على اصلاح أخلاقى يبث بين الطبقات انسجاما ، ويوجه النفوس الى الخير المركوز فيها ، والى تقوية أواصر الرحمة ، وتزكية عواطف الأريحة ، وتخليص القلوب من أدران الحقد ومن رق الأنانية • وكان يقول : يجب أن يقوم بناء المجتمع على السماحة والسلام ، أى على الشعور بأننا جميعا أسرة واحدة متآزرة ، أصلها واحد ومصيرها واحد •

فمذهب الأستاذ فى الحياة الفاضلة مذهب لا يرمى الى التشدد والتضييق والحرمان ، بل يدعو الى السماحة والأريحة والايثار • وتلك أخلاق الاسلام ، وفيها أقوى تعبير عن روح البطولة التى تقوم على مجاهدة النفس وصونها من الانحدار فى تيار الشر والأنانية • ومصدر هذه الأخلاق مصدر « جوانى » ، هو الوحى الأول ، وحى القلوب ، وذلك هو منبع النور الذى يضىء للنفوس الكبار على الخصوص ، ويضىء لكل انسان يجىء الى هذه الدنيا • فكان الأستاذ يرى أن المهمة الكبرى للفلسفة هى ازالة كل ما يحاول أن يطفىء هذا النور أو يحجب ضياءه وسناه •

واذن فرسالة أستاذنا فى جوهرها رسالة اصلاح أخلاقى ، ترعى الفن الذى هو أرفع الفنون ، ألفن الذى يصنع الروح • ولقد لخصها هو نفسه فى كلمة أستاذه

محمد عبده : ان الحب فى عالم الانسان كالجذبية العامة فى العالم الكبير ، فهو الذى يمسك المجتمع ويصونه من البوار · فاذا استلهمت النفس البشرية هذه الفلسفة الأخلاقية عرفت أنها لم تولد لتفنى بعد حياة قصيرة على هذه الأرض ، ولكنها « هبطت الينا من المحل الأرفع » كما عبر ابن سينا ، وجاءت من اللامتناهى ، فهى لا تقنع بما دونه مثوى ومأبا · انها قبس من نور الله ، فالى الله مرجعها فى دار الخلود ·

ان نغمة هذه الفلسفة نغمة عميقة هادئة رقيقة ، انها نغمة علوية قد تخطت حدود المكان والزمان ، واتسقت مع النغمة الكونية الكبرى التى هى نغمة سخاء وصفاء ، وهل هناك أسخى من أن يمارس الأستاذ فلسفته تلك وأن يعيش عليها ؟ وهل هنالك أصفى من أن يعلم الناس بسيرته ومثاله أن المحرك الطبيعى للانسان انما هو الأريحة والاحسان ؟

ولا جرم كانت شخصية مصطفى عبد الرازق جديرة بفلسفته : فتواضعه وسماحته ونزاهته وانسانيته ، وغيرها من الشمائل العقلية والأخلاقية التى توسمها فيه الأستاذ الامام · والتى تبينها تلاميذه والمتصلون به فى مراحل حياته ، تساهم فى تكوين صورة لرجل افعم قلبه رحمة ونورا ·

٣ ـ تلخيص « من آثار مصطفى عبد الرزاق » (٣)

(أ) الكتاب : فى دراسة مستفيضة عنوانها « شخصية رائدة : الشيخ مصطفى عبد الرازق » كتبها باللغة الفرنسية صديقنا الفاضل الأب قنواتى ، ونشرها فى القاهرة سنة ١٩٦٠ فى « مجلة المعهد الفرنسى للآثار الشرقية » ، قال حفظه الله : « ان من لم يقدر لهم أن يعرفوا من الشيخ مصطفى عبد الرزاق الا مؤلفاته الفلسفية المنشورة ، لا يخطر لهم أبدا على بال أن هذا الرجل الذى يتناول فى بحوثه أشد الموضوعات جفافا ويعالجها معالجة علمية دقيقة جدا ، فى أسلوب مقتصد رصين خال من الزخرفة والمحسنات ، هو نفسه ذلك الذى رزقه الله قدرة الكاتب الألمعى ، المبدع فى الوصف الأخاذ لمشاهد الحياة فى الأزهر وللوقائع اليومية المتنوعة التى تقع فى القاهرة أو فى باريس ، والقادر على التحليل اللطيف لمشاعر قلب نابض متفتح لتباشير الحب ، والتعبير القوى عن آمال شعب يكافح من أجل حريته ، ومطامح شباب يطلب المثل الأعلى ، والتسجيل الصادق لعادات شعبية فى طريقها الى الزوال ؛ والدفاع الحازم عن المرأة وحقوقها .. ومع ذلك فها هنا مفتاح تلك الشخصية الجذابة ، شخصية شيخ الأزهر السابق ، ولعل الكتاب الذى نحن بصدده يكشف

(٣) الناشر : دار المعارف ، القاهرة ١٩٥٧ .

عنها للكثيرين من القراء » • ذلك قول حق ، فما من اثر من آثار مصطفى عبد الرازق يمثل شخصية أستاذنا كما عرفناها مثل هذا الكتاب : كل مقال فيه ، بل كل سطر وكل كلمة ، بمثابة استكشاف لعقله وقلبه وارادته ، في هدوئه السمح الرزين ، وفي تجرده عن الهوى ونفاذه الى الحكم السديد •

هذا السفر الضخم من آثار مصطفى عبد الرازق ، نشره أخوه الأصولى الكبير الأستاذ على عبد الرزاق ـ حفظه الله ـ وقدم له بكلمة عاطفية جميلة أملاها الأستاذ الدكتور طه حسين عنوانها : « مصطفى عبد الرزاق كما عرفته » رسم فيها عميد الأدب العربى صورة مشرقة لمصطفى عبد الرازق أيام شبابه وكهولته ، فى وقاره ورقته ، وتواضعه ، وأناته ، ورفقه ، وهدوء نفسه ، وحبه للعلم واكرامه لأهله ، ووفائه لأصدقائه ، وبره بذوى الحاجة • وصدر الكتاب بنبذة مستفيضة تقع فى نيف وسبعين صفحة ، عن تاريخ حياة مصطفى عبد الرازق كتبها الأستاذ على عبد الرازق نفسه ، فبسط القول فى « بيت عبد الرازق » ومولد مصطفى ، ودراسته فى « الكتاب » ، وفى الأزهر ، اتصاله بالشيخ محمد عبده ، وعلاقته بالحركة الأزهرية ثم سفره للدراسة فى فرنسا ، وعودته الى مصر ، واشتراكه فى تحرير مجلة «السفور» ،

وتدريسه فى الجامعة الشعبية ، وانتقاله الى « الجامعة المصرية » ، وتعيينه وزيرا للأوقاف ، ثم شيخا للأزهر ٠

أما الكتاب نفسه فيبدأ بباب عنوانه « صفحات من سفر الحياة » ، وهو مجموعة مقالات كتبها مصطفى عبد الرزاق ، ونشرها فى « الجريدة » بتوقيع « حسان عامر الفزارى » ، وألقى الكاتب فيها بعضا من ظلال شخصيته وروحه ٠ واذا كان « الأسلوب البيانى هو روح المرء كما يقولون ، فالنفوس الغليظة أساليبها غليظة ، والنفوس اللطيفة أساليبها لطيفة » ، فلا شك أن قارىء مقالات أستاذنا فى أسلوبها الأدبى الجميل صافى ، يتبين فيها روحا شفافة وحساسية رقيقة وذوقا مرهفا ، وينتسم منها نفحات من الحب والسلام والجمال ٠ واذا كانت نفس مصطفى عبد الرازق نفسا « لطيفة » فهى فوق ذلك نفس ثائرة على كل تبلد فى الحس أو فساد فى الذوق أو انحطاط فى العاطفة ؛ وان شئت فقل ان ثورة مصطفى عبد الرازق ثورة ودية متعاطفة عميقة هادئة ، غير مجلجلة ولا صاخبة ٠

(ب) ثورة « جوانية » : هذه الثورة « الجوانية » فى جوانبها الاجتماعية والدينية والعقلية والوطنية هى التى منتقدم منها نماذج تفصح عن طريقة للكاتب فريدة وأسلوب بيانى رائع ٠ استهل الكاتب مذكرات الشيخ

الفزارى بمقال عن محاضرة للشيخ المفتى (الأستاذ الامام) يحض فيها تلاميذه على تدوين اليوميات فيقول : « ان أحدكم يستطيع أن يجعل لكل يوم صحيفة يقيد فيها ما عبر به من الخواطر والملاحظات ، وما يسترعى نظره من الحوادث أو يقص فيها ما عمله فى يومه · ولهذه الطريقة فوائد جمة ، لأنها فوق نفعها فى تمرين الانشاء تحمل الانسان على مراقبة نفسه وتصفية حسابها فى منتهى كل يوم » ·

ثم تمضى مذكرات الفزارى فياضة بالنقد اللاذع الهادىء موجها الى ما فى المجتمع المصرى من عيوب انتشرت بين الناس وتشبثت بأوهامهم ، وجعلت لها من الدين سببا والدين منه برىء · من ذلك بدعة اقامة « حلقات الذكر » وما يستتبعها من هزات عنيفة من الرأس وصرخات عالية من الحلق : يقول الكاتب الناقد : « أعوذ بالله أن تكون من دين الفطرة تلك الهزات المضطربة وذلك الهدير الذى تفيض به الحناجر · ولوددت أن أولئك المساكين اذ لم يستفيدوا من هذا العبث لأرواحهم جعلوا منه نفعا لأجسامهم ، فنظموا حركاته على وجه يمرن عضلاتهم العاملة ، حتى تصير نوعا من الألعاب الرياضية المفيدة ، وحتى يمكن أن نلتمس له من الوجهة الدينية شبها بالرومى والوثب على الخيل ، وقد ندب اليهما الشارع ـ صلعم ـ وكثيرا مع صحبه من بعده · كلا انهم حرصوا على حركات

تقليدية تشوه جمال الخلقة الانسانية ونظامها ، وتشوش التناسب فى النمو بين أعضاء البدن · وانك لتعرف المدمنين على تلك الأذكار بعلامات لا تختلف ، اذ تغلظ رقابهم ، وتندلق بطونهم ، وتربو أسافل ظهورهم »(٨٦)·

(ج) زواج وطلاق : وفى قسم اخر من المذكرات يعرض الكتاب للمساوىء المتفشية عند كثير من الرجال ، فى كثرة الزواج ، وفى ايقاع الطلاق لأتفه الأسباب ، وكأن النساء ألعوبة فى أيديهم يبدلونها كيفما شاءوا ، فيصف على لسان الشيخ الفزارى شخصية حقيقية هى شخصية أستاذ من أساتذة الأزهر ، وكان رجلا « مزواجا مطلاقا » ، أراد أن يطلق امرأته التى قضى معها باعترافه « ثلاثة أشهر فى غاية الانبساط » · فلما سأله عن السبب قال : « انها لم تحمل فى هذه المدة · وما أريد بالزواج الا تحقيق ما دعا اليه النبى — صلعم — من قوله : تناكحوا تناسلوا ، فانى مباه بكم الأمم يوم القيامة » وهنا نرى الكاتب يعلق فى الهامش تعليقه كلها سخرية لاذعة فيقول : « وما أظن ابن عبد الله — عليه السلام — يريد أن يباهى الأمم بما يقذفه صلب سيدنا الشيخ » !(٨٨)

وتعرض المذكرات لموضوع تعدد الزوجات مبينة مضاره من اقتلاع أساس الحب ، وبذر بذور الكراهية فتقول على لسان الشيخ حسان ، واصفا ما جرى له

عندما حاول أن يجدد بعض المعاني الدينية في خطبة منبرية : « ثم جعلت أحدث الناس في أمر الزواج لأبين لهم أن تعدد الزوجات يقلع الحب من أساسه ، لأن الحب موحد لا يقبل الشرك ، واذا ذهب الحب فعلى السعادة العفاء في هذا العالم كله · ولم أكد أنطق بهذه الكلمات حتى وقف المأذون والفقهاء وعمي الحاج على الديب وصاحوا : هذا هو علم آخر الزمان · لم يبق الا أن نسمع من فوق منابر الوعظ الديني الكلام على النسوان والحب وماذا جرى من خطب الشيخ البولاقي والشيخ السقا التي تذكرنا بالموت وتحبب الينا الفقر ؟ ـ أخذ أصحابي يدافعون عني ، وقامت معركة بين الطرفين تقاذفوا فيها أحديثهم وتقاذفوا معها جفاء القول · فهبطت من فوق المنبر لأصلح بين خصمي وأنصاري ، معتذرا لأولئك شاكرا لهؤلاء · ولما هدأت ثائرتهم ، وأخذوا مجالسهم مرددين الصياح المسنون : اني صائم ! اني صائم ! عدت الى والشحناء » · ويعود الكاتب الى موضوع الطلاق في موقفي وصرفت الحديث عن هذا الحب الذي يهيج العداوة مقالات « السفور » فينعى على المسلمين سهولة تفشية ، فيقول : « لحظت أن الناس في الريف اذا شاءوا أن يجعلوا لحديثهم صبغة علمية لم يجدوا بين أيديهم الا مسائل الطلاق يتذاكرونها ويتناقشون فيها ويعنون التفقه فيها من أشرف أبواب العلم · وكثيرا ما يسألون عن صورة غريبة

مشكلة تحير الألباب · هذا التفنن فى العبث بالعصم جا
لقومنا من سهولة الطلاق الى حد مفرط · حل عقـد
النكاح حين عندنا هوانا يصيره رهنا بلفظة تقال فى مزا
أو غضب من غير قصد ، وتجعله نوعا من التمرين العقل
يتلهى الفقراء بتنويع وجوهى وتشعيب صوره · وكأ
هـذا كان مغـريا على الاعـب به فى ســمرهم وف
حياتهم » (٢٦٢) ·

(د) أفندية وشـيوخ : ويلاحـــظ الكاتب الجفو
الموجودة بين العنصرين المكونين للطبقة العلمية فى مصر
يعنى طلاب المعاهد الدينية وطلاب المدارس النظامية « ا
ينظر كل فريق الى صاحبه نظرة سخط لا تغضى عن عيد
ولا ترى حسنا » · وهو يستشف برحابة فكره وســ
أفقه ، ما ينجم عن ذلك من اشاعة الفرقة بين أبناء الأم
الواحدة ، وهم أحوج ما يكونون الى الوحدة واجتمـا
الكلمة ، فى مواجهة الأجنبى الغاصب ، ويقول : ان ف
انقسام المتعلمين فى مصر الى أفندية وشيوخ « داء عضا
يصل شره الى نهضتنا العلمية نفسها » ويقول : « ول
أمكن اعتبار الأزهريين رجال كنيسة اسلاميـة ، فوقف
دورهم فى الحياة الاجتماعية عند حدود المظاهر الدينية
وأمكن اعتبار المدرسين علماء الدنيـا ، حتى لا يدخلو
فى الشؤون الدينية بيد ولا برجل ؛ لو أمكن هذا لهار
الخطب كما كان لتنافر هؤلاء الا أثر طبيعى فى حال

الأمة . كان أبناء المدارس يأبون الا أن يحملوا مع راية العلم الدنيوى لواء الدين ليكونوا زعماء الدنيا والآخرة .. اما رجال المعاهد الدينية فهم أيضا لا يقنعون بأن يكونوا حملة القرآن ورواة السنن ، بل يريدون أن يكونوا هم علماء من غير قيد ولا حد . وكذلك تصدم حركتنا الفكرية الناشئة بهذا التشويش الغريب » (٩١) .

(هـ) انى صائم ! انى صائم ! : وفى المذكرات وغيرها من فصول الكتاب افاضة في الحديث عن الأخلاق المتفشية بين المسلمين فى رمضان ، وما يحوط هذا الشهر الكريم من منازعات ومشاحنات وسباب غالبا ما يرجعونها الى ضيق النفس من الصيام . ولم يخطر ببالهم أن الصوم انما هو قمع الصائم نفسه عن الرذائل ، كما هو منع الجسم عن الطعام والشراب . فتحت عنوان : « غرة رمضان سنة ١٣٢٤هـ » كتب الفزارى : « هذا أول يوم في شهر الصوم . ولم تسفر تباشير الصباح حتى بدت فى الناس حركة غير عادية . فالوجوه كلها عابسة مظلمة ، والألسنة سريعة الى السباب وأنطلاق سرعة الأيدى الى الضرب والملاكمة . ولقد جرى لى من الحوادث ما يكفى سرده لتمثيل أيام الصيام تمثيلا صحيحا » ثم يقول : « بعد ذلك قصدت الدار فرارا من الجامع ومخاصماتها . وما كدت أتخطى عتبة الحوش حتى رأيت عما لى يغاضب

زوجته ، وآية غضبه أن يرمى المتاع من الشباك صارخا بين هدير الغيظ : انى صائم · وقد كادت تصيبنى قلة فى لم رأسى فتقتلنى · هنالك أحسست بأن المصيبة عامة فى الناس ، وأشفقت أن تصل العدوى التى وجدت بوادرها جرحا فى الصدر ، فآويت الى حجرتى وأشعلت سيجارة · دخلت والدتى فجأة ، ولما أبصرتنى مدخنا والشمس فى كبد السماء ضربت صدرها مذعورة وصاحت : أجننت يا حسان ؟ فأقنعتها بحالى ومقالى أننى كنت ناسيا فتذكرت · ولما خرجت قلت فى نفسى : لئن كان يرضى الله هذا الصيام الشغوب اللغوب ، فلن يغضبه هذا الفطر السلمى ، وتناولت سيجارتى » (١٠٣) ·

ويعاود الفيلسوف الكتابة عن الصيام فى مقالات « السياسة » التى كان يكتبها بعنوان « مذكرات مقيم » ، فيعطينا صورة عما لشهر رمضان من اثر فى حياة الناس ، فيقول : « الناس هذا الشهر أقسام ثلاثة : فمنهم صائمون ، ومنهم مفطرون ، ومنهم من يظهر مظهر الصيام وهو لا يصوم · أما المفطرون فتشم رائحة الدخان من أفواههم وأيديهم وتلمح فى شفاههم لمعة لم يذهبها نضوب الريق · أما الآخرون فيقطبون جباها ليس فى أساريرها تقطيب ، ويكثرون من حديث التعب والهزال وكل مظهر من مظاهر أجسامهم الرابية يشهد عليهم ·

والسابقون السابقون نجد في أعينهم احمرارا ، وفي نظراتهم ازورارا ، وفي مناخرهم اتساعا ، وفي أرنبة أنوفهم ارتفاعا ، وفي أفواههم تقبضا وجفافا ، وفي سحيتهم طيا والتفافا ، في مسامعهم طنين ، فاذا حدثتهم مالت اليك وهم لا يعون • في جسومهم وهن يجعل مشيهم دبيبا ، وفي أعصابهم توتر يدع غضبهم قريبا » (٤٧٣) •

(و) يا رحمتاه للمجاورين ! : ويعبر صاحب المذكرات عما أحسه من سآمة للطريقة التقليدية فى الدروس الأزهرية فيقول على لسان الشيخ حسان : « أصبحت لا أجد لما أحضره من دروس الأزهر طعما ولا أشعر بفائدة فى تكوين ملكة ولا تهذيب ذوق لهذه الأبحاث المحدبة التى أفنى فيها حياتى جاهدا • أنا أستيقظ من نومى قبل أن تشرق الشمس ، فما أزال أنتقل من حلقة أستاذ الى مشاركة رفيق فى مطالعة على انفراد بالدروس حتى آوى الى مخدعى قبيل منتصف الليل فاتر القوى منتبه عصب الدماغ محتاجا الى النوم ، غير واجد اليه سبيلا • وليس لى من سلوة فى ثنايا هذا العناء المتتابع ، لا من لذة العمل فى نفسه ولا من ثمرته • ثم ان فى أعماق نفسى قلقا ينزع بى الى أمانى لا موضع لتحقيقها من هذا الوسط » (١١١) • ثم يصور ، فى أسلوب أدبى طريف وسخرية رفيقة ، عادات الأساتذة والمشايخ فى

حلقـــات الدرس وصـــلاتهم بطـــلاب العـــلم وترديـــدهم للمصطلحات المحفوظة دون نقد أو تمحيص ، فيقول :
« ذهبت عصر اليوم الى جامع الحسين ، وجلست قريبا من كرسى المدرس الذى اقبل محاطا بطائفة من الطلبة ، منهم من يحمل نعليه ، ومنهم من يحمل الحفظة ، وآخرون يسيرون فى عرض الموكب تكميلا للأبهة • كان الأستاذ لابسا قفطانا أصفر لونه ، فيه خطوط ســوداء ، ويحيط بصدره الضيق نطاق من حرير أزرق واضح الزرقة مطرزا باعلام مخضرة ، من فوق ذلك جبة تضرب الى لون الدم ، ويرتدى بدفية من صوف برتقالى لامع ••• جلس (الشيخ) فى كرسيه ، ولبس نظارته ، ثم أخرج ملزمة المنار ، وقرأ عبارة المتن : أحمد الله أولا وثانيا • كانت الساعة ٩ عربى، فما برح العالم النحرير يقتل هذه الجملة المسكينة بحثا وتدقيقا حتى أذن مؤذن المغرب • ولما أضجرنا باطالته على غير طائل فى تطريق الاحتمالات وتوجيه الاعتراضات ، قلت : يا سيدنا الشيخ : ألا يجوز أن يكون كل مراد المصنف هو التلويح الى البيت المشهور :

لك الحمد أما ما نحب فلا نرى

ونبصر مالا نشتهى فلك الحمـــد

لوى الشيخ عنقه ، ووجم مفكرا ، ثم أجاب : هذا الاحتمال غير وجيه ، لأن الجمد في المتن مطلق وهو في الشعر مقيد · ثم مضى في ما كان فيه · ولم يكد يفرغ من الدرس حتى تزاحم عليه الطلاب يقبلون يده كما تزاحموا عليها يمسونها بشفاههم في مفتتح الدرس » ثم يعلق الكاتب على ذلك المشهد بنقد رقيق وان كان لاذعا فيقول :

« يا رحمتاه للمجاورين ! لا يفتأون يقبلون الأيدي التي لا هي أيدي النساء الناعمة ، فنحيي فيها نعمة الله على الناس بالجمال والحب ، ولا هي مرتجاة للخير فنتكرم لخيرها ومعروفها · وكم في تلك السيئة من مضار ! وان أولئك الذين يمدون أيديهم طويلة الى الأفواه لينشرون جراثيم الأمراض ، ويبذرون معها بذور الذلة في أنفس طيبة ساذجة » (١١٣) ·

(ز) مشاعر وطنية : ويعبر الكاتب عن مشاعره الوطنية الخالصة في تعليقه على التصرف الغاشم ، تصرف « مأمور المركز » ومساعد النيابة ابان التحقيق في وفاة طواب محترقا ، فيقول : « ويا ليت حكامنا يدركون انما هم حراس على القانون الموجود لكرامة الناس لا لهوانهم ! وليتنا نحرص على عزتنا ، فلا نرضى بوجه أن تداس أطرافها · ويا ليت كل أب في مصر يلقن طفله في المهد قول المتنبي :

واحتمـال الأذى ورؤية جانيـــ -

ـــه غـذاء تضـوى به الأجسام

ذل من يغبـــط الذليـــل بعيش

رب عيش أخف منـه الحمـام »

ويكتب استاذنا/ عمـا شاهده من مظـاهر الوطنيـة عند الفرنسيين ابان الحـرب العالميـة الأولى ، فيقول : « أشهد لقد سمعت التوقسان يدق فى جوف هذه الجبال مؤذننا بالتجنيد العام ، فيطير اليه الناس زرافات ووحدانا . وما هى الا ساعة حتى ينقلب هؤلاء الفلاحون الوادعون جنودا كل همهم أن يقتلوا أو يقتلوا . وأشهد لقد رأيت صاحبا لى يقعد به المرض عن السير الى الحرب لا يلمح الذاهبين الى القتال الا بكى . ورأيت مريضا يوصـيه الطبيب أن لا يترك فراشه والا عرض حياته للخـطر ، يسير مع السائرين غير مبال بصحته ولا برجاء حليلتـه الشابة الجميلة الموحدة التى قالت لى : لقد أعلم ما يهدد حياته حتى من غير حرب ، ولكننى لم أسرف فى الالحاح عليه عرفانا لشرف العاطفة التى تجيش بها نفسه . وكم رأيت من مظاهر الوطنية فى هذه البـلاد بين الرجـال والنساء والأطفال ، حتى لقد خيل الى أن السماء والأرض وكل ناطق وكل صامت يتدفق حمية وحماسـة ، وحتى

وجدتنى فى نشوة تحبب الى أنا أيضا أن أموت فى ظلال السيوف » (١١٩) . ويقول : « أنا من أولئك الذين يكرهون الحروب ويريدون للبشر رقيا منتظما فى ظل السلام والحرية . وآلم شىء لقلبى أن يفترس الانسان الانسان كما تصنع الوحوش فى البيداء . غير أنى أنظر اليوم الى العاطفة الحربية فى جهتها الشعرية ، فأحس بجمالها وجلالها » ... « مشهد أليم وعيشة ضنكى فى بلاد الابتهاج والنعمة . كل ذلك صحيح ، ولكن روحا كريمة ترفرف بأجنحة من نور فوق تلك المصائب والآلام السوداء . تلك هى عاطفة الوطنية التى تعزى الثاكلات والواقفات على باب الثكل ، وتملأ صدور الذاهبين الى ساحة الحرب الزبون أريحية وطربا . بارك الله فى الوطنية ، وحيا كل مجاهد فى سبيل الوطن » (١٢١) .

وتعتلج فى نفس الفيلسوف الأديب مشاعر الوطنية الصادقة اذ ينقد العصبية الدينية التى تفرق بين أبناء مصر ، فيقول : « وبالجملة فان هذا الريف جميل كله ، وليس فيه موضع للذم الا فى شيئين : أما أحدهما فهو أنك تحتاج الى تعرف دين الناس من قبل أن تبدأهم التحية : ذلك بأنك اذا قلت للمسلم : نهارك سعيد ، لم يرض . وان قلت للمسيحى : السلام عليكم غضب ... وانه لشنيع عندى أن يختلف هذا البلد حتى فى كلمة التحية !.. » (١٨٤) .

وفى سبيل الوطن كتب الفيلسوف دفاعا عن الحرية ، وبيانا لأثر الايمان بها فى نهضة الأمة ، فقال : « على أننا نحب أن يشيع فى الناس الشعور بحريتهم واختيارهم : لأن هذا الشعور ينعش النشاط البشرى ويدفعه فى سبيل العمل وهو يكبر فى المرء ثقته بنفسه ويجعل آماله عالية · وهذه الحرية المقدسة هى الأساس الثابت لحريتنا المدنية والسياسية ، فان من الواجب أن يكون لنا ارادة لنطالب باحترام ارادتنا » (١٣٣) · وقال أيضا : « اننى أدعو ··· الى الايمان بالحرية ، مقتنعا بأن هذا الايمان خير كله ، ولو أثبتت جميع البراهين الفلسفية أن نظرية الاختيار الانسانى غير صحيحة · كثيرا ما تسعد الأمم بقوة يقينها فى معتقدات شعرية حظ الأمانى فيها أكثر من حظ الحقيقة الثابتة ، بل لو شئت لقلت انه لابد للأمم فى نهضتها من عقائد حماسية تحرك عاطفة الكبر وأريحية الطموح الى الأمد الأبعد ، وتخرج شعور المجاميع بين آن وآن عن حد الرزانة العلمية الفاترة · كذلك كان يعتقد العرب أن أمتهم خير أمة أخرجت للناس · ويشهد الانجليزى أن الأرض لم تقل حيوانا ناطقا أشرف من قومه السكسونيين : تلك معتقدات لا يؤيدها البرهان ، ولكنها على ذلك مكنت لبنى يعرب بن قحطان فى الأرض ، وهى اليوم تجعل لسكان الجزائر البريطانية الغلبة والبطش فى جوانب المعمورة · وما أشد حاجتنا نحن أبناء مصر الى

الايمان بأن لنا ارادة ، واننا خلقنا أحرارا » (١٣٤) ٠

(ح) الأخلاق الايجابية : وكذلك دعوة الفيلسوف الى تربية وطنية جديدة ، يكون النظام فيها مطلبا من مطالب الاصلاح فى مصر : « ومن حق المعنيين بنهضة هذه البلاد أن يعملوا على تقوية وجودها بجعل النظام ملكة فى أبنائها تظهر آثاره فى الحياة الخاصة والعامة ٠ وان كل سعى فى تفهيمنا معنى النظام واشاعة الذوق النظامى فينا لهو خير سعى لاصلاح الأمة ، وأعظم بركة عليها ٠٠٠ ينبغى أن نشعر ببشاعة الاضطراب والتشوش وسوء أثرهما فى حياتنا ، وأن نفهم جمال النظام وندرك أنه سر القوة ، وبذلك نتكلف سيرة النظاميين رغبة وشوقا حتى نعتادها » (٢٢٤) ٠

وهو يحث قومه على أن يتخلقوا بأخلاق ايجابية ، أخلاق الهمة والاقدام والطموح ، وأن ينفضوا عنهم غبار السلبية المتمثلة فى الفتور والذلة والاستكانة ، والحياة ، فيقول : « فى الأمم القوية يمتدح الناس بالشجاعة والكرم والوفاء وبعد الهمة ٠ وفى الأمم الضعيفة يمتدحون

بالحيـاء والتواضـع والحـلم والتـأنى وكثرة الصـمت والقناعة والصبر · وأشيع الرذائل فى الأمم القوية الكبر والتهور والغضب والطمع والغرور والبجح وما ماثلها · وتشيع فى الآمم الضعيفة رذائل الجبن والذل وضـعف الهمة · والناظر فى أخلاقها يكاد يجـد كل فضائلنـا ورزائلنا من الأنواع السلبية التى تعتمد اللين والضعف » (٢٦٧) ، ويقول : « لقومنا ولع خاص بفضيلة الحياء ، حتى ليكاد يكون كل عملنا فى تربية أولادنا هو أن نجعلهم مستحين ··· ينشأ ناشـئنا حييـا فى الدار ، ويذهب بالحياء الى المدرسة ، ثم يخرج الى معترك العيش حييا . فلا يزال يهاب الحياة حتى يأتيـه الموت وهو أشـد له تهيبا ··· أيها المربون ! لا تضعفوا من قوة الشـباب بعوامل التهيب والخجل علموا أولادنا كثيرا من الشجاعة وقليلا من الحياء » (٢٦٥) ثم يقول : « يا قومنا ! لا تسرفوا فى التواضع فانا الى غير التواضع أحوج » ثم يبين أن سبب خمولنا هو اهمال اجسامنا وأرواحنا لا مناخ بلادنا . فيقول : « شر رذائلنا الخمول ، وهو علة ضعفنا فى كل وجه من وجوه الرقى ، وذلك بأن المدنية ثمرة النشاط

الانسانى · وكلما كبر ما ينفقه الناس من مجهودهم فى سبيل الحياة كانت حياتهم عظيمة ومدنيتهم راقية ... يقول قائلون ان مناخ هذا الوادى يقضى على أهله برخاوة العزيمة وضعف النشاط ، لأنه حار يعجز القوى الانسانية أن تحتمل شدته عناء النشاط فى العمل · ولو صح هذا القول لكان من المقدور على كل البلاد التى ليست بذات جو بارد أن تعيش منحطة محدودا نصيبها فى المدنية كما حدد نصيبها من النشاط · والواقع يكذب هذا ، فقد عرف التاريخ مدنيات جليلة للبلاد الحارة من قبل أن يعرف مدنية فى غيرها من البــلاد · ان كان للجو أثر فى قوة الطبيعة فيطفى جمراتها ويصير نارها بردا عليه وسلاما · وكم شقت المدنيات الصحارى أنهارا وأنبتت فيها جنات وجعلت شمسها ظلا ظليلا · ليس خمولنا من عمل الجو · وما يكون لأحد أن يظن أنه من لوازم بلادنا ولا قومنا ، فان أرضنا صالحة لأن تكون مهد نشاط مثمر كما كانت كذلك لأول عهد الانسانية بالعمل المثمر · وشعبها لا يزال فى عروقه دم أبنائنا الأولين الذين شــيدوا بعزائمهــم الكبيرة مدنيات خالدة المجد والأثر · عارض مرض ذلك الخمول الذى يعلق بأجسامنا من أثر الاخلال بحسن التعهد

لما يصلح البنية ويحفظ عليها صحتها وينمى لها قوتها ، ويعلق بأرواحنا من أثر الاهمال لما تحيا به الأرواح وهو الأمل » . (٣٧٤) .

ويندفع من شعوره الوطني السليم ناصر الكاتب قضية المرأة المصرية ودعا الى استكمال تحررها : « نبتهج لكل مظهر من مظاهر الرقى فى حال المرأة المصرية ، ونرجو النجاح لكل سعى فى سبيل تحرير المرأة ، وتبسم لنا وجوه الأمل كلما وجدنا فى نسائنا حركة حياة شعورا بالحاجة الى العمل لخير أمتنا المحتاجة الى الأيدى العاملة من النساء والرجال ... نرجو أن نرى غدا فى دار البر بدرب الجماميز نساء ورجالا يقومون جميعا على من تعولهم وتربيهم الجمعية الخيرية الاسلامية ، فتنتفع مصر بثمرة المجهود المشترك من أبنائها وبناتها فى وجه من وجوه الخير تمهيدا للاشتراك العام بين النساء والرجال فى كل وجه من وجوه الاصلاح والرقى » (٣٣٢) .

(ط) فلتخشع الأصوات ولتقل مصر كلمتها : ولم يكف الكاتب عن المطالبة بالتعليم الاجبارى حتى لا تظل عيالا على الغرب فى العلم والمعرفة .. وهو يطالب بأن يمنح

التعليم كفاية من ميزانية الدولة : : «كنا نطالب بالتعليم الاجبارى لتحمل الأمة طوعا أو كرها على أن تتعلم . لان الأمة نهضت من نفسها لتحصيل العلم نهضة مباركة ، وبقي أن يجد الظامئون الى ورد العرفان سبيلا ... نريد أن يوجد فى بلدنا من المدارس ما يكفى لكل طالب يريد أن يتعلم وأن يمنح التعليم كفاية من ميزانيتنا ولو تعطل كثير من مشاريع الاصلاح في مرافق الحياة . إن العلم يغنى الأمة الفقيرة ، ولكن الغنى لا ينفع الأمة الجاهلة » (٣٢٣) . وهو يعبر سنة ١٩٢٦ عن إغتباطه اذ يسمع صوت مصر ممثلا فى المؤتمر الوطنى ، فيقول : « أما المؤتمر الوطنى ، مؤتمر الهيئات والأحزاب والنقابات ، فهو مظهر من المظاهر التى تعرب بها الأمم عن ارادتها ، فى ساعات التاريخ العصيبة . هو الشعب يريد أن يهتف بما فى نفسه . واذا صح الشعب فى الأرض ردد القدر صيحته فى السماء . هى مصر تريد أن تقول كلمتها ، فلتخشع الأصوات ، ولتقل مصر » (٤٦٦) .

ومن أجل الاصلاح الاجتماعى كتب منبها الى خطر البطالة على النظام العام فى الأمة . فبعد أن ذكر ان الجرائد روت أن رجلا فى القاهرة حاول الانتحار لأنه

لم يجد عملا ، عقب بقوله : « هذا هو الخطر الداهم · ينبغى أن يفطن له من بيدهم تدبير شؤوننا الاقتصادية ، فان العاطل اليائس قد يدفعه يأسه الى ما هو أشد نكاية بالجماعة وأشأم أثرا من الانتحار · واذا كان تعقب الدعاة الى الشيوعية هم الحكومة الآن ، فان ترك مجال فى نظام حياتنا ليأس من وجود عمل يقوته ، شر من دعاة الشيوعية وأسوأ عقبى » (٤٦٧) · ونادى بالمساواة والعدالة بين أفراد المجتمع ، برغم التباين الذى وضعته الطبيعة فيهم : « واذا كانت الطبيعة قد فضلت بعض الناس على بعض تفضيلا قد لا يكون فى مقدور البشر تعديله ، فان الأمنية العليا للمصلحين هى أن يجدوا جماعات الناس خلوا من التمايز المصنوع لتتحقق جهد المستطاع معنى التساوى بين الأفراد الذى هو فضيلة العدل » (١٦٤) ويقول : « وما نحن ممن يسر بخلق مميزات صناعية جديدة يفضل بها بعض الناس على بعض فاننا فى حرج من المميزات القديمة التى تقف فى وجه ما نريده للعالم من المساواة والاخاء والحرية » (٢٢٣) ·

(ظ) أديب فنان : يبذو الشيخ مصطفى عبد الرزاق ·

فى المقالات التى نحن بصـدد تحليلهـا ، أديبـا مرهف الحساسية ، مشغولا بالجمال ، متعقبا لكل ما يتم عن الذوق والفن · يصف حفلة بدار الأوبرا المصرية سنة ١٩١٧ ، فلا يفوته أن يقيد خواطره عن مثل هذه الحفلات فى أوربا ، ويعقب بقوله : « أما نحن فقلما تسنح فرصة تمكننا من تعرف جهد الجمال فى قومنـا · وما نلمح الجمال والزينة الا خلسا فى الطرقات وقد كثرت السيارات فى هذه الأيام وأصبح الحسن يمر بنا مسرعا لا تلحقه العيون » (٣٤٤) · ونراه يصف الشباب ، فى لهوه وعبثه وجنونه : « يا أيها الشـباب ! ان فى نفوسـنا أمـانى وأحلاما · وعندنا بقية من الأمل هى كل ما فى العيش من لذة · فان كان هذا آخر العهد بالجنون الحلو والخيال الجميل ، فيا بؤس العيش من غير جنون ولا خيال » (٢١٨)· ويعبر عما يستشعره من خلو أعيادنا من أسباب المرح والابتهاج فيقول : « ليست لنا أعياد وطنية تكون متنفسا لنشاط العواطف ، وليست عندنا مواسم خلاعة ولهو تجعل فى حياتنا الكئيبة سلوة وعزاء · لذلك تمر بنـا الأعيـاد متشابهة لا تختلف مظاهرها ولا تهز النفس بهجتها ··· إن هذه الأنفس البشرية ضعيفة ينبغى أن تقاد برفق ،

انها اذا لم تجد اللهو منفذا اتخذت جد الحيـاة لهوا » (١٥٢) .

وهو يصف باريس فى رحلته اليها سـنة ١٩٢٤ ، فيتحدث عنها حديث أديب فنـان : « يروى أن عالما كبيرا من علمائنا ـ غير الأزهريين بالضرورة ـ كان قد غاب عن باريس زمنا طويلا فى مصر . فلما عاد الى ملكة المدائن ، لم يتمالك ان أرتمى على أرضها ، وجعل يعفر وجهه فى تراب الحرية ، وان كانت حرية باريس لا يلحقها غبار ... » ثم يتبع ذلك بقوله : « لست من هذا النوع من الغرام : بيد أنى أحب باريس حبا جما ... ليست باريس من صنع شعب من الشـعوب ولا عمـل عصر من العصور ، ولكنها جماع ما استصفاه الدهر من نفائس المدنيات البائدة وما تمخض عنه ذوق البشر وعملهم من آيات الفن والعلم والجمال . باريس جنة فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، فيها للأرواح غذاء وللأبدان غذاء ، وفيها لكل داء فى الحياة دواء . فيها كل ما ينزع اليـه ابن آدم من جد ولهو ونشوة وصحو ولذة وطرب وعلم وأدب ، وحرية فى دائرة النظام لا تحدها حدود ولا

تقيدها قيود · باريس عاصمة الدنيا ، ولو أن للآخرة عاصمة لكانت باريس » (٣٩٩) · ثم يصف حديقة اللوكسمبور ، ويقف وقفة فنية عند بركتها المشهورة « ذات النافورة » ويقول : « ختمت زيارة الحى اللاتينى بحديقة ليكسمبور ، وهى روضة ذلك الحى فيها جلاله وعليها طالعه ··· ثم تخرج الى ساحة تبسم الأنوار فيها والزهر ، وتنحدر على درج الى البركة ذات النافورة ، مرتع الأطفال اللاعبين بمراكبهم الصغيرة فى أمواهها ، ومن حولها دكك ، مفرقة لمن ليسوا أطفالا · لمحت فى بعض النواحى فتاة بيدها خطاب تقرؤه ، فيشرق وجهها بالسرور وتبتسم وتلقاءها فتاة تكتب فى صحيفة ، وتتلو ما تكتبه فتنحدر عبراتها · وكم يأوى الى تلك البركة من باك ومبتسم ! ليس ماء ذلك الذى يجرى فى بركة ليكسمبور ولكنه ذوب ابتسامات ودموع ! رويدكم أيها الأطفال العابثون بذلك الماء ! » (٤٠١) ·

٤ ـ اشعاعات

قلنا أن مقالات مصطفى عبد الرازق ، المجموعة فى سفر آثاره ، خير معبر عن شخصيته وآرائه · ونقول الآن ان شخصية استاذنا كانت من طراز فريد لا يتكرر ،

وما نحسبنا نكون مسرفين اذا قلنا انه من الأفذاذ الذين لا يستطيع المرء اذا عرفهم أن يتركهم كما كان قبل أن يعرفهم . وان حياته في الجامعة وخارج الجامعة أقرب الى أن تكون « رسالة وجود » كما قال بعض المحدثين عن الفيلسوف « مازاريك » . ولا جرم كان مصطفى عبد الرازق « صاحب رسالة من أجل الرسالات ، وهى رسالة التوفيق بين القديم والجديد ، وبين الشرق والغرب . وقد أعد لها اعدادا قل أن يعد مثله رجل آخر ، واستطاع أن يحسن أداءها بحكمته وذوقه وتسامحه » (٤) .

ولقد ذكر الفارابى فى بعض كتبه أن الذى سبيله أن يشرع فى النظر الفلسفى « ينبغى أن يكون له بالفطرة استعدادا للعلوم النظرية ، وهى أن يكون جيد الفهم والتصور ، ثم أن يكون محبا بالطبع للصدق وأهله والعدل وأهله ، غير جموح ولا لجوج فيما يهواه ، وأن يكون غير شره على المأكول والمشروب ، تهون عليه بالطبع الشهوات والدرهم والدنانير وما جانس ذلك ، وأن يكون كبير النفس عما يشين عند الناس ، وأن يكون ورعا ، سهل الانقياد للخير والعدل ، عسر الانقياد للشر والجور ، وأن يكون قوى العزيمة على الصواب ... وأن يكون صحيح

---

(٤) من كلمة للدكتور ابراهيم مدكور فى الاحتفال بالذكرى السابعة لوفاة الشيخ مصطفى عبد الرازق (الأهرام ٢٣-٢-١٩٥٤).

الاعتقاد لآراء الملة التى نشأ عليها متمسكا بالأفعال الفاضلة التى فى ملته غير مخل بكلها أو بمعظمها » .

وليس من الاسراف أن نقرر أن هذه الصفات النادرة التى جعلها « المعلم الثانى » صفات للفيلسوف الكامل ، قد تحققت فى أجلى صورها عند أستاذنا مصطفى عبد الرازق . واذا الشيخ محمد عبده قد استحق أن يكرمه تلاميذه ومريدوه ، فوصفوه بصفة « الأستاذ الامام » فقد استحق مصطفى عبد الرازق من جميع من عرفوه أن يلقبوه باللقب الذى ارتضاه الفارابى ، وهو « الفيلسوف الكامل » ، واستحق أن نضيف اليه ، بعد الاطلاع على « آثاره » وتأملها ، لقبا جديا هو لقب « الثائر الجوانى والأديب الفنان » .

ستترك فلسفة مصطفى عبد الرازق آثارا مختلفة جدا ، وذلك شأن كل فلسفة تتجه الى العقل كما تخاطب الشعور ، وتناصر العلم كما تقدس الدين . وقد تبدو صورة هذه الفلسفة غير واضحة المعالم أحيانا ، ولكنها فلسفة قد صيغت من عبير الحياة ونسماتها . وهذه النسمات تأتى من فوق ، واتجاهها بين صريح يحسه أصحاب القلوب .

صحيح أن هذه الفلسفة قد تلقت بعض نفحاتها من

التصوف الاسلامي ومن خطرات الأفغاني ومحمد عبده على الخصوص . ولكن يبدو لنا مع ذلك أن الروح المبثوثة فيها روح جديدة . ومن يدري ؟ فلعل المستقبل يقول لأبنائنا أن المثل الأعلى الذي ينشده أستاذنا في حياته قد تسبق مثلنا الراهنة بأشواط بعيدة .

لقد خفت صوت مصطفى عبد الرازق منذ سنين . وقد يرى البعض في آرائه صدى لماضي بعيد قد انقضى . ولكنني مازلت أسمع صوت أستاذنا الشيخ كما أسمعه في حلم جميل ، وهو يردد أنشودة الأمل والتفاؤل ، ومازلت أراه يتطلع ببصره الى مستقبل للانسانية أسعد من حاضرها .

هذه رسالة مصطفى عبد الرازق : وهي رسالة حب واحسان وسلام .

مكتبة الأسرة



بسعر رمزى عشرة قروش
بمناسبة
مهرجان القراءة للجميع ١٩٩٤



مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتا